سلسلة رسالة منبر
جامع عمرو بن العاص
(٤)

إلى عرفات الله

الدكتور
عبد الصبور شاهين
خطيب جامع عمرو بن العاص

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد ..

أيها الأخوة المؤمنون ...

كل عام أنتم بخير ...

بعد أيام سوف يتوجه المسلمون الى أداء المناسك يوم التروية ثم يوم الوقوف ثم يوم العيد الأكبر عيد الأضحى المبارك .. أسأل الله أن يجعله عيدا مباركا ويوماً موفقاً لأمتنا ولخيرها ...اللهم آمين .

ونظرة الى رحلة الحج ، تلك الرحلة المقدسة ، تضعنا أمام معان ينبغى أن نستحضرها ، فالواقع أن رحلة الحج ليست سفرا الى الكعبة والى المدينة المنورة لزيارة الرسول ﷺ فهذه فى الواقع صورة الهدف الأول أو الجانب الظاهر من

الرحلة أما الحقيقة فهى رحلة الى الغيب المجهول فنحن نخرج من بيوتنا متوجهين الى الله - تبارك وتعالى - الى الأرض التى طلب منا أن نتوجه إليها لنحج إليه ونزوره (وحق على المزور أن يكرم زائره).

الله هو الغيب وسعينا الى المغفرة هو هدف غيبى وطريقنا على جناح الرحمة وجناح المعرفة الإلهية هو طريق لايعلم سرها .. ولامبداها ..ولامنتاها الا الله -تبارك وتعالى - أرأيتم أنها رحلة الى المجهول ..!!

ثم هى رحلة أبسط ماتكون الرحلة ، مطلوب منا أن نبسط أهدافنا منها ، ليست هناك خطة معقدة لرسم أهداف الرحلة ، فمثلا اذا أحببنا أن نسافر إلى أوربا أو إلى رحلة لبعض البلاد الإسلامية فإننا نضع مخططا ونقول سنزور ..ونزور .. ونزور ..ونفعل ..ونحقق ..ونحول ..ونشترى ....،..و.. الى آخره .

أما هنا فالحج (هو حج إلى الله) عبارة بسيطة جدا، مظهرك فيها أبسط المظاهر، بساطة لله من داخلك .. من خارجك ..ومن داخلك تتخلى عن كل هموم الدنيا وأغراضها .. ومن خارجك تخلع ملابسك وتتجرد لله وترتدى إزاراً ورداءً غير مخيط ،أى لم تدخلها صنعة البشر، حتى كأنه الكفن ، وهو معنى مستهدف أثناء الرحلة ، ومطلبك من الرحلة بسيط : (اغفر لى يارب) ، لاكثر وأنت ذاهب الى الحج تتغير مشاعرك ..كيانك الداخلى يتغير لأنك فى الحج تخضع لنظام حاسم نظام موحد هو نظام الله ..هو أوامر الله.

يقول القرآن مثلا فى شأن هذا النظام ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾[1] الرفث والفسوق والجدال ربما يباح لنا دون تعقيب فى أيامنا العادية ، ننطبق بألفاظ سيئة

١- سورة البقرة الآية ١٩٧

نتحدث أحاديث من اللغط ،ولانتوقف أمامها ، نجامل اخواننا بالحق وبالباطل ، نتجادل فى حوار السياسة .. و .. و.. الى آخره.

أما فى الحج فلا رفث ولافسوق ولاجدال ، وكذلك لاعلاقة جنسية مع الزوجة ،أو مع الزوجات ،هنالك حرمان مشروع وتقيد محبب ، وعقوبات توقع على من يخالف وهو مؤمن بها راضى وسعيد .

فإذا خرجت عن هذا النظام كان عليك عقوبة مثلا أن تذبح شيئا أن تدفع غرامة .. كل هذا تفعله وأنت راضٍ وحريص على أن تفعل .. وأن توفى بما يلزمك بها الشارع من عقوبة ، بل إن البعض يأتونى ويسألوننى لقد فعلنا كذا .. وكذا فى الحج ولم نتمكن من أن نقدم (الفدو) هل نستطيع أن نرسل الى هنالك لكى نتخلص من ذنوبنا .. ونخلص أنفسنا من المسئولية :

فى نظم البشر لو سجلت غرامة بحق انسان ، غرامة مرور خمسة جنيهات فإنه يحاول أن يتفوت منها ولايدفعها للدولة، لكنه لو فعل فعلا فى الحج وترتب عليه أن يذبح مايساوى ١٠٠٠ جنيه فإنه يحرص على أن يفعل وأن يقدم هذا الفداء حتى يخلص نفسه من المسئولية ومن أثر هذا الذنب .

إذن فنحن فى رحلة غريبة فى الواقع عندما يرجع الحاج يتغير تماما فى نظام حياته ويخضع لنظام جديد ،يمارس منتهى التحكم ومنتهى الإنضباط والغريب أنه لاتوجد سلطة تنفذ هذا النظام ،يعنى أننى لو جادلت فلن يقول لى أحد لماذا تجادل ؟ ولو خالفت بعض المناسك فلن يؤاخذنى أحد ..ولن يتعقبنى أحد .. مالذى يحدث ؟! اننى أنا سوف أراقب نفسى وأوقع عليها العقوبة المقررة ، وذلك هو أوضح نظام لتحقيق الامن فى المجتمع .

انظروا الى الحجيج ..الحجيج الذين خرجوا الى الحج لايمكن أن يقع بينهم معارك ، ولاتقع فيهم جرائم ، إنما تقع الجرائم من المندسين بين الحجاج، وهم الذين يذهبون ليمارسوا السرقة او يمارسوا الأمور المنكرة ..هؤلاء مندسون فى الحجيج أما الحجيج فلايمكن .. لا لأن هناك شرطة مسيطرة على الموسم ، ولكن لأن هنالك الضمير ..هنالك الحضور الإلهى .. هنالك النفس اللوامة التى تراقب الانسان وتضبط السلوك وتضع القيود وتنفذ الخطة وتمضى بها إلى غاياتها ونهايتها عندما يعود الإنسان من حجه لم يرفث .. ولم يفسق .. ولم يجهل فهو من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

اللهم ارزقنا هذة الرحلة ..ولاتحرمنا منها أبدا
والحمد لله رب العالمين

***

دكتور عبد الصبور شاهين
القاهرة : ذو الحجة ١٤١٤هـ
مايو ١٩٩٤ م

تاريخ الحج

يقول الحق- تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق[1]﴾.

---

* هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة الموافق ٨ ذو الحجة ١٤٠٨هـ / ٢٢ يولية ١٩٨٨م.

١- سورة الحج الأيات ٢٦ - ٢٩

أيها المسلمون ...

هذا حديث ربنا -تبارك وتعالى- عن الحج الفريضة التى فرضها الله - عز وجل - على هذة الأمة الاسلامية فى السنة السادسة للهجرة بعد أن استقر أمر المسلمين نسبيا بصلح الحديبية وبعد أن أصبحت للإسلام دولة وهيمنة فى قلب الجزيرة العربية لكن حديث القرآن ان يشد تاريخ الحج إلى إبراهيم - عليه السلام - كما نرى ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بى شيئاً** ﴾[1] .

وإبراهيم كما نعلم خرج من العراق لم يؤمن به غير إثنين فقط ثم إستقر فى طريقه الى الشام ثم مصر ثم الشام ثم مكة ثم الشام ثم مكة وهو يحمل دعوة التوحيد .

١- سورة الحج الآية ٢٦.

وقـد شـاء الحق -تبـارك وتعـالى - أن يجـعل أول المسـتجـيبين لدعوة إبراهيم وأساس هؤلاء المسـتجـيبين هم ذريتـه أولئك الذين جعلهم الله -عـز وجل- أنبـيـاء فـوهبـه إسماعيل وإسحاق ويعقوب وهؤلاء هم نواة التوحيد الخالص الذى دعا الية إبراهيم .

حديث القرآن عن الحج وهو يتحدث عن إبراهيم يوحى لنا بأن موسم الحج على عهد إبراهيم كان موسما حافلا يضم أناسا كثيرين والواقع أن بداية تشريع الحج فى عهد إبراهيم كان قطعا بداية متواضعة فحديث القرآن لايمكن ان نحصره فى عهد إبراهيم وإنما هو حديث يغطى مساحة من الزمان تبدأ من إبراهيم إلى يوم القيامة فحديث القرآن هنا صادق على بدايات تشريع الحج فى عـهد إبراهيم كـما أنه يصدق على إستمرار تشريع الحج إلى يوم القيامة لم يتغير شئ بل إن الحج يبقى كما هو الفريضة المجمعة لأمة التوحيد ، كما يظل

الحج هو المؤتمر الذى تعقده أمة التوحيد سنويا حتى تتعارف .. وحتى تتآلف ..وحتى لاتفقد ما بينها من روابط .. وحتى لاتنسى علامات المنهج الإسلامى ، منهج الله -تبارك وتعالى - الذى أمر به وشاء أن تربى الأمه عليه .

فالحج فى الحقيقة عملية تربوية خطيرة لانها تفترض منتهى الاخلاص لله -عز وجل- منتهى البعد عما سوى الله -تبارك وتعالى- ومنذ قال الله لإبراهيم **﴿وطهر بيتى للطائفين والركع السجود**[1] او **﴿وطهر بيتى**[2]**﴾** او «**أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود**[3]**﴾** .

١- سورة الحج الآية ٢٦

٢- سورة الحج الآية ٢٦

٣- سورة البقرة الآية ١٢٥

لم يتلوث هذا البـيت إلا فى المرحلة الجـاهليـة التى زرعت فى ساحة البيت خلالها مجموعة من الأوثان لاتعتبر آلهة وإنما هى تمثل انتكاسه فى أمة التوحيد فـالوثنية ليست منشـأ أمـة مـحـمـد - ﷺ - ولكن منشــأها عند إبراهيـم ، وإبراهيم كـمـا نعلم خليل الرحـمن ، وهو أصل هذه السـلالة ، أو هذه الذرية أو هذه الأمة ، كما وصفه القرآن : ﴿ إن إبراهيم كان أمه ﴾[1] قضت بذلك ارادة الله .

***

١- سورة النحل الآية ١٢٠

الحج تطهير للأمة

وهذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس من سلالة إبراهيم - عليه السلام - وأساس هذه الأمة هو التوحيد فما حدث من انتكاثها الى الوثنية ليس أصلا فى هذه الأمة ولاهو أساس فى بنائها ، وانما هو نكسة حدثت وسرعان ماتداركها الله - سبحانه وتعالى - برحمته عندما بعث محمد - ﷺ - ليطهرها لقد جعل الله من مهمة رسوله - ﷺ - أن يزكى هذه الأمة وأن يعلمها، كما هو نص القرآن .

ومعنى التزكية التطهير ، فهو يطهرها لأنها أمة الطهارة ، ولأن قبلتها هى الطهارة ، وما دامت بهذة المثابة فإن أول عملية فى تكوين الأمة هى تطهير المكان ثم تطهير الناس حتى اذا اجتمع الناس فى المكان التقت الطهارة بالطهارة ، فلم يكن ! الا هذا التوحيد العميق الخالص الذى وفر الشرع الإسلامى له كل مقومات التمام والكمال .

تعـالوا بنا ننظر الى ما أراد الله - عـز وجل - لهـذه الأمة فى رحلتها الى بيته العتيق وإشارة القرآن الى البيت العتيق اذا كان الوصف موجها فى حديث الله إلى إبراهيم فمعنى ذلك أن البيت كان قبل إبراهيم منذ تاريخ شاء الله - سبحانه وتعالى - ان يجعله سرا من اسرار هذا الكون ، فإذا كان الله يخاطب ابراهيم « **بالبيت العتيق** »[1] فمعنى ذلك أن البيت كان قبل إبراهيم بقرون وأجيال يصدق عليها أنها القرون العتيقة ، أى القديمة التى صارت عتيقة حتى على عهد إبراهيم ، ومن هنا يمكن أن نقول ان وجود البيت العتيق كان فى الزمان الأول الذى لايعلم سره إلا الله -تبارك وتعالى

سورة الحج الآية ٢٩.

أما إذا قلنا إن ذلك موجه الى محمد - ﷺ - فيحتمل الأمرين : أن يكون فعلا كما هو بالنسبة لإبراهيم ، أو أن يكون بيتا عتيقا لأن إبراهيم أقام قواعده ثم استمر البيت عبر آلاف السنين أى أن تحلق الناس ومعهم خاتم النبيين حول هذا البيت العتيق .

على أية حال ان الله - عز وجل - شرع منهاجا ليربى هذه الأمة حول البيت .. لكن الناس فقدوا احساسهم بهذا المنهاج وهم يتصورون أنهم يحجون الى البيت لكى يؤدوا ماعليهم من فريضة ، والواقع ان الشريعة أرادت من الحج أن يكون فريضة على الأمة لكى تحج الى الله ، وابتغاء وجهه ورضاه ، فكل من استطاع من هذه الأمة أن يحج فليخرج مع الأمة لكى تؤدى الأمة فريضتها بهذ المعنى القدسى .

ومعنى الأمة هنا مستمر منذ بدأ مع إبراهيم ﴿إن إبراهيم كان أمة [1]﴾ فلقد بدأ تشريع الحج بمفهوم الأمة قبل أن تولد الأمة ..يعنى المفروض أن نفهم أن إبراهيم كان فردا وقد وصف فى القرآن بأنه (إمام) ﴿إنى جاعلك للناس إماما[2] ﴾ووصف بأنه (أمة) ، ومعنى أنه (أمه) أن الله -عز وجل- جعل فى إهاب إبراهيم أمة سوف تتخلق بعد ذلك من ذريته ، وسوف تتبعه فى مسيرته وسوف تحمل لواء دعوته ، يمثلها ويقودها إبراهيم وكل من جاء من ذريته من البنيين الى خاتمهم محمد - ﷺ .

١- سورة النحل الآية ١٢٠

٢- سورة البقرة الآية ١٢٤

فالحج هنا صورة جماعية وليس عملا فرديا ، لقد فقد الناس أيضا الإحساس بهذا المعنى ، معنى الجماعية ، فأصبح كل فرد حريصاً على أن يذهب ثم يعود ليصبح الحاج فلان ، أما أن يتحقق فى الحج معنى الأمة ومعنى الجماعية ويتحول تفرق هذه الأمة إلى تجمع هائل وحقيقى فمعنى غاب عن واقع المسليمن مع أن الله -عز وجل- يرمز بهذا الحج الى منهاج يجب أن نتبين سطوره وملامحه .

المسلمون على سطح الكرة الارضية دول وشعوب وقبائل تفرقهم عوامل الدنيا أغنياء لاينظرون الى الفقراء .. أقوياء لاينظرون الى الضعفاء .. شعوب تصورت نفسها بعيدة عن معنى الجماعة الإسلامية فعاشت تمضغ همومها وأوهامها وتعبد ذاتها وتقصر على الإهتمام بنفسها .

المسلمون ثلاث وأربعون دولة او خمس وأربعون دولة بين هذه الدول من العدوات والسخائم والحروب وأسباب النكد

مالايوجد بينها وبين خصومها فى العقيدة ، ولابينها وبين الملاحدة في كل مكان ،بالعكس تحولت أقسام من هذه الأمم الى مذاهب وإيدلوجيات لا إسلامية بل إلحادية ، وبذلك يظهر لنا دائما بعض الحكام المسلمين وهم يفخرون بأنهم ماركسيون .. ويفخرون بأنهم ملحدون .. يفخرون بأنهم يذبحون أهل العقيدة ، وهذا أمر واقع فى المسلمين .

المسلمون فى مجتمعاتهم الخاصة يعيشون أفرادا لاعلاقة بين بعضهم وبعض وهذه هى الخيبة التى تخيم على وجود المسلمين لقد أراد الله - عز وجل - أن يخلص الفرد المسلم لفترة معينه فى حياته - هى فترة الحج - من الأوهام التى تفصل بينه وبين أخيه المسلم ، أو تفصل بينه وبين معنى العقيدة ، فاذا به يخلص المسلم من كل مظاهر التفرقة .. مظاهر التباعد بينه وبين الآخرين .

الناس يختلفون فى الأزياء ، فمنهم من يلبس لباسا ثمينا غاليا ويركب مركبا فارها ويعيش حياة فاخرة ..حياة الأبهة .. والثراء والرفاهية ، ومنهم من لايجد شيئا ذلك فى حياته ، لقد أصابته التعاسة فعاش يمضغ بؤسه وفقره .

لكن هل هذه الحالة التى أرادها الله - تبارك وتعالى- للأمة التى يجمعها فى الأصل شهادة أن « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ؟؟ من أجل هذا كانت فريضة الحج لتخرج هذه الأمة من كل أوضاع التفرقة .. وسمات التميز ،،فتتجرد فى ساحة واحدة ، فى تجمع مهيب ، فى صوت واحد .. فى أنشودة واحدة .. فى هدف واحد لايتبين معه ملك من صعلوك .. ولايفترق رئيس من مرؤس ، ولايستطيع قوى أن يفاخر فى هذا المكان بقوته ولايشعر ضعيف بقلته كما يقول بعض العامه : (تروح فين يا صعلوك بين الملوك).

المساواة فى الحج

إن الناس يتحولون فى هذه الساحة الى عبيد للرحمن الى مساواة لاتتحقق فى واقع الانسانية الا فى هذا المكان بل إن معنى المساواة فى الحج أتم وأعنق لأن الحج يجرد أهل الثروات من ثرواتهم ..أهل القوة من بطشهم ..يذعن فى الحج كل جبار ، ويطوف ويسعى ويقف وهو رافع يديه يدعو ويضرع هذا ان كان يحج حقا ، وهنا يتحقق معنى المساواة بصورة لايمكن أن تعرفها غير أمة الاسلام .

لو كان عالم المسيحية مثلا أو عالم الشيوعية يملك تجمعا كهذا التجمع الاسلامى لصنعوا به المعجزات ، ولاستطاعوا أن يخلقوا أجيالا من المؤمنين بأيدلوجياتهم لايمكن أبدا أن نضارع على سطح الكرة الارضية ولكن المسلمين الذين يملكون هذه الشعيرة او هذه الحقيقة .. أو هذا

المنهج تضيع بكل أسف فى أوساطهم المعانى الكبيرة .

ها نحن أولاء فى واقعنا ننظر فنجد ان موسم الحج يتكرر كل عام ولايتقدم المسلمون نحو أى معنى من المعانى التى أرادها الشارع من فريضة الحج ، بل استمع الى حديث أى عائد من الحجيج وستجد أنه لايحكى الا عن الذين داسوا على رجله ..والذين زاحموه حتى إتكفأ على وجهه .. المسلمين الذين لم يتعودوا عادات النظافة ، فهم يمارسون عادات سيئة ، لاتقبل حضاريا فضلا عن أن تقبل اسلاميا ، لا حديث لمن يعود الا عن السلبيات ، أما الايجابيات فهى غائبة تماما ، مع أن القرآن يقول :

﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتذودوا فإن خير الزاد التقوى[1] ﴾ ﴿ تذودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ [1] أى اجعلوا الحج مناسبة وسوقا لتتزودوا من أدائها بالتقوى .

***

١- سورة البقرة الآية ١٩٧

المعنى الحقيقى للحج

ماذا حصل أولئك الذين قاموا بالرحلة وأنفقوا كل ما معهم من حصيلة الأيام .. لم يحصلوا شيئا ...، لم يدركوا شيئا إلا الذين أمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ومالم يكن للحج كفريضة أثر على جماعة المسلمين فلاقيمة له ولا أثر لان الحج لم يفرض شريعة فردية ، وإلا لصح أن يكون الحج فى أى يوم وفى أى شهر دون أن يكون له يوم معلوم تماما كالصلاة تستطيع أن تصلى وحدك وتستطيع أن تصلى فى جماعة وصلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد الفذ بسبع وعشرين درجة ولكن صلاتك كفرد صحيحة ولاغبار عليها وهى أداء للفريضة .

لكن الحج لم يكن كذلك إنه لو كان فريضة فردية لصح لك ان تحج فى محرم .. وصفر .. وربيع .. وربيع .. ورجب

..وشعبان .. ورمضان لكن أن يوقف الشارع يوما معينا .. وتجمعا معينا .. ومكانا معينا لكى يحشد هذا الحجيج الضخم ويقيم هذا الموسم العظيم فلا ينبغى أن يغيب عن نظرنا معنى الجماعية .. ومعنى الامة .

فأما أن يتحول الحج الى طقوس والى تصرفات فردية الى موسم يكسب فيه التجار ،و الى تنافس فى المظاهر حتى صار عندنا مايسمى بالحج السياحى ، الذى يتقاضى من الحاج قرابة عشرين ألف جنيه أعرف شركات تتقاضى من الحاج أكثر من عشرين ألف جنيه !!

أين الجهاد إذن اذا كنا سنحج فى علبة مكيفة .. واذا كنا لن نختلط بالناس !؟واذا كنا لن نعيش واقع المسلمين !؟ واذا كنا لن نتأمل فقر الفقير !؟

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بذلك فى قوله : ﴿ وأطعموا القانع والمعتر[1] ﴾ وقوله : ﴿ أطعموا البائس والفقير[2] ﴾

هنالك البائس الفقير ، فاذا لم نبحث عن البائس الفقير فقد فقدنا معنى من المعانى الأساسية التى شرع الحج لتحقيقها ، هذا هو ما يحدث الآن تتحول رحلة الحج الى تجارة .. والى ابتزاز ..حقيقة تنهض بها شركات المستثمرين وشركات السياحة وربما أشرف على هذة الشركات شر عباد الله وأفسدهم ، حتى تجار المخدرات يشرفون على أمثال هذه الرحلات لانها فرصة (يطلع منها) بمليون .. بنصف مليون ..باثنين مليون فى لعبة خمسة أيام .. ستة أيام.

١- سورة الحج الآية ٣٦.

٢- سورة الحج الآية ٢٨.

هذا هو الموضوع الذى ينبغى أن نتأمله نحن لم نسعد هذا العام بأن نحج وهنالك اخوان لنا يحجون أتمنى أن يدركهم هذا المعنى وأن يعوا أن حقيقة الحج مرتبطة بكونه مدرسة تجمع شتات الأمة ، وتؤكد مفهوم التوحيد الخالص .

وإنى أسأل الله - عز وجل - أن يوجه قادة أمتنا لتحقيق هذه المعانى والى جمع شمل المسلمين .

***

إرساء حجر الأساس في الدين

يقول الله - تبارك وتعالى - في كتابه الكريم من سورة البقرة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود * وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا أمنا وارزق أهله من الثمرات من أمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير * وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك السميع العليم * ربنا اجعلنا مُسلمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علَينا إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم أياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** [1] ﴾ (صدق الله العظيم)

---

* هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص أثناء تفسيره لسورة البقرة (الآيات ١٢٥ - ١٢٩) يوم الجمعة الموافق ٢ رمضان١٤١٢هـ / ٧ مارس ١٩٩٢م.

١- سورة البقرة الأيات ١٢٥ - ١٢٩.

أيها المسلمون ..

هذة الآيات من كتاب الله -تبارك وتعالى - استمرار لحديث القرآن عن إبراهم أبى الأنبياء وعن رحلته الى الأرض المقدسة رحلته التاريخية التى تقرر فيها مصير البشرية يقول الله -تبارك وتعالى : ﴿ **وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوامن مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود**[1]﴾ أن الله -تبارك وتعالى- اختار إبراهيم -عليه السلام- الرسالة معينه وكلفه بإرساء حجر الأساس فى الدين الذى اختاره الله -عز وجل- شرعة ومنهاجا للإنسانية وللبيت الذى يثوب الناس اليه آمنين مطمئنين فى كنفه فهو مثابتهم ، ولذلك قال لهم : ﴿ **إتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**[1]﴾

سورة البقرة الآية ١٢٥

والناس يتصورون ومعهم بعض العلماء أن مقام إبراهيم هو المكان الذى يحدد الآن بتلك البنية الزجاجية ، وفيها حجر عليها أثر قدم ، ومقام إبراهيم ليس هذة النقطة ولكن مقام إبراهيم هذا البيت العظيم كله ، ولابد أن نتخذ هذا البيت كله مصلى .

مقام إبراهيم

فالبيت هو مقام إبراهيم ، ومقام إبراهيم ليس قدم إبراهيم ولكنه الدعوة التى قام بها إبراهيم - عليه السلام - وورثها لمن اصطفاهم الله -عز وجل -من بنيه لحمل الرسالة وتبليغ الأمانه هذا هو مقام إبراهيم .

ولذلك فقد كتب الله - عز وجل - لهذ البيت المشرف أن يكون مصلى أى مكان صلاة وقبلة صلاة للناس جميعا ممن يؤمن بإبراهيم ..وممن يؤمن بالأنبياء الذين جاؤا بعد

إبراهيم كل هؤلاء يتخذون من هذا البيت مصلى وقبلة ولعلكم ترون أن هذا البيت أصبح بعد ذلك وقد انتشر إشعاعه فى الآفاق فكل مساجد الله -عز وجل- هى فى الحقيقة تبع لهذ البيت وهى مرتبطة بهذا البيت بشعاع نورانى أذن الله -تبارك وتعالى- أن يجمع بين كل البيوت فى قوله - عز من قائل: ﴿فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه[1]﴾.

***

١-سورة النور الآية ٣٦.

البيت الحرام

فالبيت الحرام رفع إبراهيم قواعده هو وإسماعيل ثم أذن الله لسائر بيوته من المساجد وبيوت العبادة أن ترفع أيضا فلا يرتفع فى هذا الكون الا بيت الله ، وكل بيت لا يذكر الله فيه هو بيت شيطانى خفيض ، أما البيوت التى ﴿أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه [1] ﴾ فهى فى الحقيقة ثمرة هذا البيت الأصل الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا .

وهكذا انتشرت دعوة إبراهيم - عليه السلام - عن طريق الأنبياء الذين جاؤا بعده وخاتمهم محمد - ﷺ - ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى [2] ﴾ وجاء دور إبراهيم بعد أن أنفذ عهد الله -تبارك وتعالى.

١- سورة النور الآية ٣٦ ٢- سورة البقرة الآية ١٢٥

﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل [1]﴾ كلفناهما بهذة المهمة «أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود [1]» فهذا البيت لايكون فيه الا عابد، ولايثوب اليه الا عاكف ، ولايقوم فيه الا هؤلاء المصلون من الركع السجود ، جاء دور إبراهيم فتوجه الى الله بالدعاء أن يديم هذا الامن على هذا البلد - مكه - التى فيها هذا البيت الأمن فشساع الأمن يشمل البيت وما حول البيت من ارجاء مكة ، أم القرى.

***

١- سورة البقرة الآية ١٢٥

دعاء إبراهيم للأمة

ثم يدعو إبراهيم ربه دعاءً هو التاريخ كله ..وهو الحضارة كلها إنه لم يدع دعاء أنانيا كما يفعل الناس . كل الناس عندما يتوجهون الى الله - تبارك وتعالى - يتوجهون إليه فى حياتهم الشخصية الأنانية اللهم ارزقنى .. اللهم استرنى .. اللهم افتح علىّ ..الهم يسر الأمر لى ولأولادى وذريتى .. الى أخره .. الى أخره .

أما إبراهيم فدعا لهذه الأمة الى يوم القيامة ودعا لها دعاء عجيبا جدا ..دعاء الحضارة رؤيته على العلاقة بين الذرية وبين البيت وإنما طلب من الله - تبارك وتعالى - أن تكون استجابته فى هذة الذرية تحقيقا لأمنها ..ولحضارتها ..ولحياتها ..ولخيرها ..ولعلمها .. وذلكم مانجده فى دعاء إبراهيم - عليه السلام - ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من

البيت وإسماعيل ربنا تقبل إنك السميع العليم * ربنا اجعلنا مُسلِمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك [1] ﴾

فالذرية الى يوم القيامة ، الذرية المسلمة هى استجابة لدعوة النبيين العظميين إبراهيم وإسماعيل **﴿ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم أياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** [1] ﴾

لم يكن دعاء إبراهيم لذريته ولهذه الأمة المسلمة ان يرزقها الله من الثمرات فقط « **وارزق أهله من الثمرات من أمن منهم بالله واليوم الآخر﴾**[2]

١- سورة البقرة الآيتان ١٢٨ ، ١٢٩

٢- سورة البقرة الآية ١٢٦

فرزق الثمرات شئ مكفول من الله - تبارك وتعالى - مادام الانسان حيا فله رزقه وله ثواب عمله .. وله رزقه فى هذة الدنيا مادام أجله ممتدا وقد كفل الله - تبارك وتعالى - لكل خلقة من انسان ..وحيوان ..ونبات .. وجماد .. وحشر .. وطير ..وميكروبات ..وجراثيم ..كل ذلك مكفول الرزق (*).

(*) بل إن لله -تبارك وتعالى- فى رزق هذه الكائنات من خلقه له حكم وسنن يعجز العقل عن تصورها، كما أن العقل يعجز عن تصور حياة هذه المخلوقات، ففى هذا الكون حياة خفية لايعلم سرها إلا الله -تبارك وتعالى- فى الحجر حياة .. وفى المدر - أى الماء- حياة .. وفى البحر من الكائنات حيوات. وفى الماء ذاته حيوات .. وفى الهواء حياة.. ونحن حين نتنفس نتنفس أحياء، هذه الأحياء وهى جزء من تنفسنا نتنفسها فتتغذى من هذا التنفس ويضمن الله لها رزقها فى صدورنا ثم نخرجها لنستثمر وجودها وغذاءها التى استمدته من أنفسنا نحن البشر.

فالدعاء بالرزق انما هو دعاء طبيعى وبسيط ، وان كانت له خصوصية بالنسبة الى أبناء ابراهيم الذين يعيشون فى واد غير ذى زرع ولكن الدعوة التى دعاها إبراهيم كانت لهذه الأمة كانت دعوة لبناء مستقبلها على أساس من العلم والتربية ، وعلى يد النبى الخاتم وهو قوله تعالى ﴿ربنا ابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾[1]

.إن أبا الأمة يدعو لذريته جميعا أن يخلصهم الله من الجهل ، ويطهرهم من الوثنية ، ويزكيهم بالحكمة ، ويزودهم بالعزة فهو العزيز الحكيم ، وقد استجاب الله لدعوة خليله إبراهيم ، التى قررت مصير البشرية فى كل زمام ومكان .

﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾

٢- سورة البقرة الآية ١٢٩

الصفا والمروة

يقول الله - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم من سورة البقرة: **«إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم [1]»**

أيها المسلمون ...

هذة الآية تحدد مشعراً من مشاعر الحج أو شعيرة من شعائره هى شعيرة السعى بين الصفا والمروة نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يرزقناها ،وأن يكتبها لنا ما حيينا - اللهم آمين.

---

* هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص يوم الجمعة ٢٦ ذو القعدة ١٤١٢هـ/ ٢٩مايو ١٩٩٢ أثناء تفسيره لسورة البقرة

١- سورة البقرة الآية ١٥٨

﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله [1] ﴾ كان أناس من صحابة رسول الله - ﷺ - كأنما تحرجوا أن يسعوا بين الصفا والمروة ، وقد كان ذلك من أفعال الجاهلية ، كان على الصفا وثن اسمه «إساف» وكان على المروة وثن آخر اسمه «نائلة» وكان أهل الجاهلية يستلمون إسافا على الصفا أى يضعون أيديهم على هذا الوثن ثم يبدا السعى حتى اذا وصلوا الى المروة يضعون أيديهم أيضا ويستلمون نائلة فحين جاء الإسلام وطهر الكعبة من الأوثان تحرج هؤلاء الصحابة أن يسعوا بين الصفا والمروة وقالوا : كان ذلك فى الجاهلية فلا ينبغى أن يكون منا فى الاسلام .

١- سورة البقرة الآية ١٥٨

وتذكر كتب السيرة أن صحابة رسول الله - ﷺ - كانوا يسعون أو يحجون قبل فتح مكة ..نعم .. كان منهم من يحج بصورة فردية ، ولاحرج عليهم فى ذلك فقد فرض الله الحج ، وكانت منهم هذه الاستجابة قبل فتح مكة ، وتحرجوا فى ذلك ، فجاء الاسلام ليقول لهم ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما**[1]﴾ ومعنى ذلك أن الآية نزلت قبل فتح مكة ، ونحن نعلم أن سورة البقرة نزل منها آيات قبل فتح مكة وبعد فتح مكة ، بل ان فيها الآية التى تعتبر ختام الوحى وقد نزلت قبل وفاة رسول الله -ﷺ- باربعة ايام، وهى قوله تعالى : ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾[2] فهذه أخر آية نزلت من الوحى قبل وفاة النبى -ﷺ- بأربعة أيام.

١- سورة البقرة الآية ١٥٨

٢- سورة البقرة الآية ٢٨١

ومعنى ذلك أن من الحكمة أن تكون هذه الآية

﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾ [1] نزلت بعد فتح مكة أى بعد تحطيم الأوثان فجاء القرآن ليقول إذن فاسعوا ..اسعوا بين الصفا والمروة ، فلم يعد هنالك حرج فى السعى بينهما .. لم يعد هناك إساف ولا نائلة ، ولا أوثان فى الكعبة إطلاقا ، فاسعوا بينهما لأن ذلك من الشعائر التى أقرها الاسلام فى عبادة المسلمين ، وقد كانت قبل الاسلام من شعائر الجاهلية .

وينبغى أن نعلم أن شعائر الحج كانت أغلبها مما يؤتى فى الجاهلية وقد نعلم أيضا أن منها مايعود الى عهد «إبراهيم »- عليه السلام - عندما قال له ربه ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات﴾[2]

١- سورة البقرة الآية ١٥٨ ٢- سورة الحج الآيتان ٢٧ ، ٢٨

إلى أخر ماجاء فى سورة الحج فقول الله تعالى لإبراهيم - عليه السلام - بداية التكليف بالحج الى البيت الحرام ، وهو تكليف للخليل - عليه السلام - وذريته من ولده إسماعيل باعتباره فرع الدوحة الابراهمية .

***

الحج عرفة

ومعنى ذلك أن من الشعائر أيضا ما يرجع الى عهد إبراهيم واستمر فى العرب ، يقيمه العرب وفاء لهذة الذكرى البعيدة للجد الاكبر إبراهيم ومن هنا جاء الاسلام ليقر هذه الشعائر ما كان منها قديما ضاربا فى الزمان .. وما كان منها أقل من ذلك ، الا أن الاسلام أضاف الى الحج عرفة فلم تكن عرفة من شعائر الحج فى الجاهلية ، ولاعرف الناس ذلك .

ولذلك يقول الرسول - ﷺ - «الحج عرفة » يعنى الحج فى الاسلام هو عرفة ، لأن عرفة هى نقطة التميز فى

شعائر الله -عز وجل- اثناء أداء فريضة الحج، وبذلك يتميز الاسلام بهذ الجمع الحاشد الذى يستقر فى مكان واحد، لكى يعبر الناس فيه عن إيمانهم، وحتى تتم حلقة التعارف التى جعلها سنة لشعوبهم وقبائلهم، فهى ساحة تعارف ..وساحة ترابط و،ساحة تعاون بين الناس بعضهم وبعض، وبذلك كانت عرفة هى نقطة التركيز فى اداء المسلمين لفريضة الحج .

***

السعى من الشعائر

لكن تأتى هذة الآية لكى ترفع الحرج عن المسلمين فى أن يكون منهم ما كان قبل الاسلام أيام الجاهلية من السعى بين الصفا والمروة يقول الله - عز وجل - **﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾** [1] .

١- سورة البقرة الآية ١٥٨

يعنى كل من يأتى خيرا من الطواف .. ومن السعى ..ومن الاقامة فى عرفة .. ومن السعى إلى منى .. ومن المبيت فى المزدلفة كل هذا الخير يشكره الله له لأنه فى حقيقته تطوع، ﴿ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم[1]﴾

إن الله -تبارك وتعالى- يصف نفسه فى هذه الفاصلة القرآنية بأنه شاكر لك .. الله -عز وجل- يشكرك وأنت تتلقى من ربك شكرا على عمل من الأعمال التى دعاك إليها ونديك الى أدائها ، شئ رائع جدا لاشك أننا نتشوق ، ونحرص على أن نقوم هذا المقام ، كيما نتلقى من ربنا شكره ، ونحن فيما نشعر نحس بضرورة أن نشكر ..ونشكر ..ونشكر لأن الله قال : ﴿فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون﴾[2] ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد﴾[3].

***

١- سورة البقرة الآية ١٥٨

٢- سورة البقرة الآية ١٥٢

٣- سورة ابراهيم الآية ٧

من أحكام الحج

يقول الله - تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم من سورة البقرة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة وذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب * الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب**﴾[1]

(صدق الله العظيم)

١- سورة البقرة الآيتان ١٩٦ ، ١٩٧

أيها المسلمون ...

هذه الآيات من كتاب الله تعالج أحكاما من الحج ، لاتعالج كل أحكام الحج وإنما هى تعالج أحكاما تتصل بهذه الفريضة التى هى ركن من أركان الاسلام ، فالحج أخر أركان الاسلام فيما يتعلق بالفريضة أو بالشرعية والواقع أن قوله تعالى : **﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾**[1] ليس فرضا للحج لأن الفرضية تحققت فى قوله تعالى **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا [2]﴾** أما قوله تعالى **﴿وأتموا الحج والعمرة لله [1] ﴾** إنما هو بيان لحكم معين

---

* هذه الخطبة ألقاها فضيلة الدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص أثناء تفسيره لسورة البقرة يوم ٧ ربيع الأول سنة ١٤١٣هـ ٤ سبتمبر ١٩٩٢م.

١- سورة البقرة الآية ١٩٦

٢- سورة آل عمران الآية ٩٧

هو أن الانسـان اذا بدأ فى عـبادة فـإنه يحب عليـه اتمامهـا ، بدأت الحج فـيجب أن تتمه ، بدأت العمرة فيجب أن تتمها ، مع أن العمرة فى الأصل ليست فريضة كالحج وقوله تعالى : ﴿وأتموا الحج والعـمـرة لله ﴾[1] اى : اذا شرعـتم فـيـهـمـا فلابد من اتمامها وليس معنى ذلك ان العمرة فريضة بموجب قوله تعالى : ﴿وأتموا الحج والعمرة لله ﴾[1] فالعمرة ليست فـريضـة بحـال ، انما هى سنة ، ولكن الشـروع فى السنن أوالنوافل يفرض اتمامها .

***

١- سورة البقرة الآية ١٩٦

الإنابة فى الحج

والإنابة فى العمرة

ولذلك فكثيرون من الناس يتوجهون الينا بسؤال دائم هل يجوز أن أودى عمرة عن أبى الذى مات ؟ وأمى التى ماتت ؟ والعمرة ليست لازمة للأب ..ولا الأم ولا أحد ، وإنما هى سنة من أراد أن يؤديها فليؤديها فى أى وقت من أوقات العام ، أما الفريضة فهى التى يجب أداؤها ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾[1]

فاذا أراد انسان أن يبر أمه وأباه أو أى أحد من ذوى رحمه فإنه يستطيع أن يؤدى عنه الحج ، أما العمرة فلا يلزمه أن يؤديها لأنها ليست بلازمة أصلاوكثير من الناس

١- سورة آل عمران الآية ٩٧

يغمض عليهم هذا الحكم. فلا يتبينون أن العمرة لاتؤدى عن أحد ولايصح أن ينوب أحد فى العمرة وإنما ينوب عنه فى الحج .. فى أداء الزكاه فنحن نؤدى عن الاموات زكاة أموالهم التى لم يؤدوها .. أو ماتوا قبل أدائها ونحج عنهم إذا كنا مستطيعين وعجزوا هم عن أدائها فى حياتهم أو هم عاجزون فعلا كمريض فى البيت مثلا يمكن لولده ان يخرج ليحج عنه ويجزئ عنه فى أداء الفريضة ، بشرط واحد هو أن يكون من ينوب فى الحج سبق له أداء الفريضة عن نفسه

***

الحج والعمرة لوجه الله

والقرآن يقول: ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾[1] ويقول أيضا: ﴿وادعوه مخلصين له الدين[1]﴾ فكل الفرائض يتوجه بها الى الله -تبارك وتعالى- لايصح أن تتوجه بالفريضة أو بأى عمل لغير الله فلا يقال مثلا أننا نحج الى الكعبة أو نحج الى مكة ، وانما نقول اننا نحج لله تعالى ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾[2] رغم اننا نحج ونذهب الى مكة وندخل البيت الحرام ونطوف حول البيت كل هذا لله وليس للبيت فالبيت أحجار لاتضر ولاتنفع .

١- سورة الأعراف الآية ٢٩

٢- سورة البقرة الآية ١٩٦

وإنما نحن قائمون هنا بما فرض الله علينا من عبودية خالصة له، لاينبغى أن تخلوا عباداتنا من هذا التوجه الخالص الى الله تعالى فالاخلاص فى العبادة هو جوهرها وعبادة بلا إخلاص جسد بلا روح **﴿ وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ﴾**[1] وهذه أحكام تتعلق بسلوك الحجيج ، وكانوا يسيرون فى طريق فتخرج عليهم العصابات تمنعهم من الحج فتحصرهم وهنا ينتهى واجب الحج، ويكتب الله له الثواب، وعليه أن يذبح هديه فى المكان الذى حبس فيه، حى لو حبسه مرض لايستطيع أن يواصل معه طريقه فاقعده عن أداء الفريضة تكتب له الفريضة، ويذبح الهدى، مادام لايستطيع ان يكمل وذلك فى تيسير الله -عز وجل- على عباده .

١- سورة البقرة الآية ١٩٦

فريضة الحج

والحج كما نعلم فريضة إسلامية كانت لها شعائر معروفة فى الجاهلية ، وقد تدرج القرآن فى الحديث عنها تمهيدا لفريضتها ، يعنى اذا قلنا مثلا أن رسول الله - ﷺ - حج فى العام العاشر فى أخر سنة من سنوات حياته فإن لنا أن نتساءل هل كان فرض الحج فى العام التاسع مثلا وحج رسول الله فى العام العاشر؟ أم كان قبل ذلك؟ هل كان فرض الحج فى المدينة أم فى مكة؟ نستطيع أن نقرأ مثلا فى السور المكية سورة الحج ، وفيها ذلك الخطاب العظيم لإبراهيم

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ [1] أى أن ينتهى من شعائر الحج تقريبا فيما عدا عرفة ، فهل يعنى ذلك أن الحج فرض فى مكة ؟ قول بعيد عن الصواب.

١- سورة الحج الآيتان ٢٦ ، ٢٧.

الوقوف بعرفة

لأن عرفة هى الحج الإسلامى ، وهى مايميز حج المسلمين عن الحج قبل الاسلام ، لقد كان الحج تكليفا لهذه الأمة ، ودعوة دينية منذ إبراهيم – عليه السلام – لكن الله – عز وجل – ميز حج المسلمين بعرفة ..ولم يكن ذلك مفروضا على المسلمين فى مكة وإنما فرض عليهم فى المدينة.

وفى المدينة يقول بعض الناس انه فرض فى السنة الثانية للهجرة ، وأنا أميل الى أن ذلك كان فيما بعد ...لماذا ..؟ لإنه لو كان فرض على المسلمين فى السنة الثانية للهجرة مثلا فقد كان من الضرورى أن يحاولوا أن يحجوا فى السنة الثالثة ..والرابعة .. والخامسه ﴿ فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ﴾[1] وتكون المحاولات مصرة لأداء الفريضة.

١- سورة البقرة الآية ١٩٦

عمرة القضاء

لكن رسول الله - ﷺ - لم يحاول أن يتوجه الى مكة الا فى العام السادس عام الحديبية ، وفى عام الحديبية كان يريد أن يعتمر لا أن يحج فواضح ، أنه لم يكن هناك فريضة حج وانما فرضت بعد الحديبية، بل بعد عمرة القضاء فى العام السابع وهو ما عليه تتابع الأحداث فى تلك الفترة الحاسمة من عمر الدعوة الاسلامية ، فقد قضى رسول الله - ﷺ - العمرة التى سميت بعمرة القضاء، عندما صد عن البيت فى الحديبية وقد اشترط لنفسه أن يعود الى البيت من قابل - أى العام التالى - وأن يؤدى عمرته كما يشاء فكان الاتفاق على ان يعود رسول الله - ﷺ - فعاد فى العام السابع وقضى العمرة ولذلك سميت عمرة القضاء لابد أن يكون بعد ذلك فرض الحج .. وهو الذى مهد له فتح مكة فى العام الثامن ، فلما فتحت مكة أصبح الطريق فى يد المسلمين ومفتوحا ، لكى يذهبوا الى مكة ..ولكى يقيموا شعائر الله بعد أن طهروا البيت الحرام من الأوثان ، وبعد أن سقطت

دولة الجاهلية وعنت الوجوه للحى القيوم ، خاشعة ، مخبتة ، متصدعة بين يديه وحينئذ تكون فرضية الحج جزءا من تتابع الأحداث الحاسمة ، ولذلك فأنا مع الذين يرون أن فرض الحج تأخر الى العام الثامن للهجرة لكن أحدا لايعرف بالضبط متى كان ؟

عندما عاد رسول الله - ﷺ - فى العام التاسع من تبوك كان من الحكمة أن يمر بمكة فيحج ، لكن رسول الله - ﷺ - أخر الحج ..لماذا ؟لأن مكة كانت آنذاك مازالت يفد إليها المشركون ويحجون أيضا ، وقد كانوا يطوفون بالبيت عرايا ، فكأن رسول الله - ﷺ - أخر حجه الى أن يتم تطهير البيت من المشركين ، ومن شعائرهم الوثنية التى تفرض على الحجيج أن يطوفوا بالبيت عراة وقد منع الاسلام هذا التعرى ، وفرض على الحجيج أن يستتروا برداء وإزار فلا تنكشف عورة أبدا فى بيت الله الحرام .

نهاية المشركين فى البيت

بذلك كان من حكمة رسول الله - ﷺ - وبإلهام طبعا من الله - عز وجل - أن يؤجل الحج الى العام العاشر ، وفى العام التاسع نزلت سورة التوبة ، التى وضعت نهاية للمشركين فى مكة والبيت الحرام ، وهى تبدأ بها الإعلان المدوى: ﴿ براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر[1] ﴾أى: لكم حق أن تبقوا فى مكة أربعة اشهر، وبعد هذ الأشهر الأربعة لابقاء لمشرك فى مكة أبدا ﴿ وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برئ من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم[2] ﴾

١- سورة التوبة الأيتان ١ ، ٢

٢-سورة التوبة الآية ٣.

الى أن يقـول : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا [1] ﴾

ولقد أرسل رسول الله - ﷺ - على بن أبى طالب بما نزلت سورة التوبة الى أبى بكر الصديق فى مكة وكان يحج بالناس فى العام التاسع ليقرأها على الناس فى موسم الحج ، فكان « أبو بكر » و« على » - رضى الله عنهما - يذهبان الى خيام المشركين والى كل قبائل الحجيج من المشركين فى تجمعاتهم ، ويقرأن عليهم هذا الانذار النهائى : لكم أربعة أشهر ، وبعدها لابقاء المشرك فى جزيرة العرب لايدخل مشرك البيت الحرام ، ولايبقى مشرك فى مكة ولم يستثن من هذا الانذار الا من كان له عهد فيمهل الى نهاية عهده ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾[2]

١-سورة التوبة الآية ٢٨ ٢- سورة التوبة الآية ٤

ويستمر التدبر القرآني : ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد[1]﴾ وبذلك طهر البيت الحرام وطهرت مكة من جود قوافل المشركين .

وحين وافى العام العاشر صح أن يحج رسول الله - ﷺ - ولم يكن فى مكة مشرك واحد ، وحج مائة الف مسلم وكانت حجة الوداع التى نزل فيها قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا[2]﴾ فقد كان هذا اليوم منتظرا من أول يوم نزل فيه الامر الكريم : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾[3] تخيلوا لقد ظل رسول الله - ﷺ - يجاهد ثلاثة وعشرين عاما ليصل الى هذا اليوم فيقول الله له : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾[2]

١- سورة التوبة الآية ٥   ٢- سورة المائدة الآية ٣

٣- سورة العلق الآية ١

الدرس العملى للإحصار

وهكذا يكون تشريع الله - عز وجل - قد عالج مسألة الحج علاجا كاملا بالتدريج أولا تكلم عن حج إبراهيم وعن شريعة الحج فى مكة مهيئا الأذهان الى أن فريضة الحج هى من دين إبراهيم أى من الحنيفية **﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾**[1] **﴿ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾**[2] وكان لدى المسلمين شعور بأن الحج شعيرة من شعائر الاسلام ، لكن لم يفرضه ، وبقى الحال على ذلك يقرأ الناس آيات القرآن ولايشعرون بهذه الفرضية إلا عندما تهيأت الظروف لفرض الحج ، ولذلك يقال ان قوله تعالى **﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ﴾**[2]

١- سورة الروم الآية ٣٠

٢- سورة البقرة الآية ١٩٦

نزلت عند الحديبية فى العام السادس لأنها تعالج موقف الإحصار، المسلمون يريدون أن يذهبوا الى البيت الحرام والمشركون يحصرونهم فقال لهم القرآن : ﴿ **فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى** ﴾ [1] لأن المسلمين عندما طلب الرسول - ﷺ- منهم أن يتحللوا وأن يذبحوا الهدى تباطؤاعن النهوض لأمر رسول الله - ﷺ - أن يذبحوا الهدى وأن يكتفوا بهذا فلا داعى أن نقاتل القوم وسننصرف فتجمد المسلمون فى أماكنهم حزانى ..غاضبين كيف يصدوننا عن سبيل الله وعن البيت الحرام ؟؟ !! كانت هذه وجهة نظر بعض المسلمين وكان موقف «عمر بن الخطاب» أمام رسول الله - ﷺ - يقول للرسول : يارسول الله . ألست رسول الله يقول له : ..بلى أنا رسول الله .

- فيقول له ألسنا على الحق ان متنا أو حيينا ..؟

- يقول له : بلى .. نحن على الحق إن متنا أو حيينا.

- يقول له إذن فعلام نرضى الدنية فى ديننا .

١-سورة البقرة الآية ١٩٦

* هنا يأخذ الرسول - ﷺ - بتلابيبه فيقول : أنا رسول الله ولن يضيعنى ولا يزيد على هذا.

ولما رأى رسول الله - ﷺ- أن المسلمين لايطيعونه

(وطاعة الرسول فريضة) وهم يمسكون عن ذبح الهدى دخل على زوجه أم سلمة - رضى الله عنها - حزينا مهموما

* فقالت له : ماذا بك يارسول الله .

* فقال لها : « الناس يعصونى .. وانى لأخشى أن تنزل بهم جائحة » يريد : تأخذهم مصيبة لأنهم يعصون رسول الله وهم صحابته وقومه فكيف يعصونه .

* فقالت له : أتريد أن ترى منهم غير ذلك .

* قالت : نعم .

* قالت له : تحلل فأخرج وأذبح الهدى - هديك - أمام الناس فانظر مايصنعون .

فاغتسل رسول الله - ﷺ - وتحلل وذبح الهدى فقام المسلمون جميعا فذبحوا الهدى وانتهى الموقف .. وانتهت الأزمة فكان هذا من ذكاء « السيدة أم سلمة » من ناحية .. ومن تيسير الاسلام ..وتنفيذ التعليم الذى جاء « فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى (١) » فذبحوا الهدى وانتهت الازمة وعاد الناس الى طاعة رسولهم - ﷺ - ببركة الأخذ بمشورة « السيدة أم سلمة » - رضى الله عنها .

هكذا نجد أن هذه الآيات كما ينبغى أن نفهم تعلمنا شيئا من يسر الاسلام حتى لايعنت إنسان نفسه فيما يتعلق بالرغبة فى أن يؤدى الحج حى لو كان فى ذلك إفلاسه ، ووقوعه فى الديون ، أو يضع نفسه حيث يعسر عليه أداء الشعائر ، ولومات هناك أو سقط صريعا تحت أقدام الناس .. إلى أخره .

---

١ - سورة البقرة الآية ١٩٦

فالله - تبارك وتعالى - يقول ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ [1] لابد أن يتوخى الانسان دائما فى تصرفه الحفاظ على حياته لأن (صحة الأبدان قبل صحة الأديان) والرسول - ﷺ - ماخير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن إثما ، وهى قاعدة أصولية ملتزمة دائما فى كثير من الأحكام وبمقتضاها كانت قاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) .

تطهير النفس بالفرائض

لو أننا نظرنا الى بقية الآيات ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾ [2] فسنجد أن الآية تعلم الناس كيف يكون السلوك النظيف ، فهى أن تطهر تصرفات المسلم من السلوكيات الحمقاء ، ومن الألفاظ السيئة ، ومن الأعمال التى لايرضاها الله وتبارك وتعالى - فى مواطن معينة كالجدال والفسوق ،

١ - سورة البقرة الآية ١٩٥ ٢- سورة البقرة الاية ١٩٧

وذلك شأن كل الفرائض ، ﴿ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾[1] والصوم يطهر الداخل ﴿ الا الصوم فانه لى وأنا اجزى به ﴾ [2] والزكاة تطهير وتزكية : ﴿ خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾[3] فرائض كلها تطهير وتعقيم للنفس الانسانية .

يجب أن نفهم أن الفرائض ليست مجرد ركوع وسجود او دفع أموال ..أو جوع وعطش وانما الهدف بعد أن نظهر لله - عز وجل - إخباتنا وتسليمنا وخشوعنا - أن يتحقق إصلاح الدنيا بتطهير النفس ﴿ من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له ﴾ [4] ﴿ ومن لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه ﴾[4]

---

١ -سورة العنكبوت الاية ٤٥ ٢- حديث قدسى

٣ -سورة التوبة الآية ١٠٣ ٤-حديث شريف

إذن فلابد أن يجد الانسان المؤمن أثر صلاته فى سلوكه وفى تصرفاته ليصبح الانسان المؤمن متميزا اجتماعيا بأدائه لعبادته فليست الصلاة وسيلة ليكون فى الوجه زبيبة ، وأن يقول الناس هذا رجل طيب ، لا شأن لنا بالناس ، انما شأننا مع الله - تبارك وتعالى - أن يرى منا القلوب الطاهرة ، ..أن يرى منا الايدى الطاهرة .. أن يرى منا السلوك القويم ..أن يرى منا المعاملة الحسنه لكل العباد .

هذا هو الاثر .. وهذا هو الدين أما أن نتصور أن الدين مجرد حركات وسكنات دون معنى فذلك مالم يقصد اليه الشارع أبدا فيما يتعلق بالفرائض ولذلك يقول الله - عز وجل - ﴿ **فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** (٢) ﴾ ببغضك فى السوء ، ويدعوك الى الحسن ﴿ **وما تفعلوا من خير الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾(١)

---

١ -سورة البقرة الآية١٩٧

التقوى وأولى الألباب

إن أجمل ماتتزودون به .. أجمل ماتطعمون ..أجمل ماتعمرون به بيوتكم ونفوسكم تقوى الله - تبارك وتعالى - ﴿ واتقون يا أولى الألباب ﴾[1] ان كانت عندكم عقول فاتقونى ﴿ واتقون يا أولى الألباب ﴾[1] ياأولى العقول .. ان عبادة الله ليست دروشة .. وليست اغراقا فى التية ولافى الغموض ..ولا الغشيان ، وانما عبادة الله عقل وفكر ، وسلوك يدعمه العقل ويقوده ..عباده الله وعى ويقظة ، وليست إغماء أو (دهولة) كما يتصور بعض الناس .. ليست عبادة الله (هَبَلاً) فى العقل وإنما عقل ذكى يعبد الله - عز وجل - فينتقى أكمل الأوضاع .. وأجمل التصرفات ، حتى يتقبل الله مايقدمه له عبده .

---

١ - سورة البقرةالآية١٩٧

ان عبادتك هدية الى الله فانظر ماذا تهدى ربك .. أنظر ماذا تقدم لربك ؟.. هل تقدم له غفلة ..؟ هل يليق مثلا وأنت تقدم هدية لصديق لك أن تعطيه الهدية وأنت تدير وجهك الى الناحية الأخرى ؟! إنه لايأخذها بل هو يرفضها ، فكذلك ونحن فى عبادتنا ينبغى أن نكون من أولى الألباب..نقدم مانؤدى من تكاليف بكل العقل والوعى ، واليقظة والحرص والاخلاص ذلكم هو جوهر العبادة .

أسال الله أن يعلمنا آدابها وشرائعها

***

التجارة والحج

يقول الله تبارك وتعالى - فى كتابه الكريم من سورة البقرة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «**ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين * ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم * فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخره من خلاق * ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب * واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تاخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون**»[1] (صدق الله العظيم)

---

* هذة الخطبة القاها فضيلتالدكتور عبد الصبور شاهين من فوق منبر جامع عمرو بن العاص اثناء تفسيره لسورة البقرة (الايات ١٩٨ - ٢٠٣ (يوم الجمعة ١٤ربيع الاول ١٤١٣هـ ١١ سبتمبر١٩٩٢م

١- سورة البقرة الايات ١٩٨- ٢٠٣

هذا درس من دروس القرآن وهذة الآيات لها مضمون عملى هو أنه يشرع التجارة فى الحج «**ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم** [1]» وقد كانوا يتحرجون من الجمع بين العبادة والتجارة فذكر لهمأنه لاجناح عليهم فى هذا الجمع ، لكن بشرط ألا يغفلوا عن المناسك .

«**فإذا أفضتم من عرفات**[1]» نزلت من عرفات «**فاذكروا الله عند المشعر الحرام**[1]» أى فى المزدلفة «**واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين** [1]» إنكم تذكرون ربكم لأنه هداكم وكنتم ضالين فى دياجير الجاهلية الأولى، وهذه نعمة من نعم الله عليكم، نعمة الهداية التى تفوق كل النعم المادية ، من القوة والصحة والرزق وغيرها .

١-سورة البقرة الاية ١٩٨

« ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس[1] وهو تحريك الحجيج من موقعهم فى المزدلفة الى منىً يفيضون منها

« واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » [2] فذلك هو موطن الاستغفار من ذنوب الماضى التى تثقل كاهل العبد وقد جاء الى الرحاب المقدسة طلبا للمغفرة « فاذا قضيتم مناسككم »[3] وانتهيتم من أعمال الحج « فاذكروا الله كذكركم أبائكم أو أشد ذكرا ، فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا ماله فى الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الاخره حسنه [4]

١- سورة البقرة الآية ١٩٨

٢- سورة البقرة الآية ١٩٩

٣- سورة البقرة الآيتان ١٩٩ ، ٢٠٠.

٤- سورة البقرة الآيتان ٢٠٠ ،٢٠١

لان مناسبة الانتهاء من أعمال الحج ربما تكون مواتية لاستجابة الدعاء نظرا الى طهارة القلوب والأنفاس ، فكل انسان يدعو بما يتمنى ، والأفضل أن يقول « **ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخره حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب ، واذكروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل فى يومين** »[1]

أى انكم تستمرون فى ذكر الله وفى التكبير فى ايام التشريق ، فبعد يرم التاسع (يوم عرفة) يبدأ يوم النحر ، ثم تتوالى أيام التشريق ، فمن بقى فى منى يومين فقط من ايام التشريق ، ثم انصرف فلا جناح عليه ، ومن زاد على يومين فلا إثم عليه ، وهو قوله تعالى

١- سورة البقرة الآيات ٢٠١ - ٢٠٣.

فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون [1].

هذه هى تفاصيل ما أشار اليه النص من أعمال الحج ، وكثيرا ما نجد الناس يسألون فى موسم الحج عن هذه (الامور النسكية) التى ينبغى على المسلم ان يعرفها باعتبارها تفاصيل لفريضة هو ملزم بها وينبغى عليه ان يؤديها.

فالناس يسألون فى بسائط الحج وفى أقل أعماله أهمية ، يسألون فيها ويلحون ، حرصا على تصحيح أدائهم للفريضة ، وهم معذورون ، نظرا الى تفشى الامية الدينية فى

١- سورة البقرة الآية ٢٠٣.

سواد الناس ، مع أنهم لو قرأوا القرآن لوجدوا فيه إجابات شافية ، ولكن هذة حال ألامة ، أمة محمد - ﷺ - نسأل الله أن يعلمها من علمه ، وأن يزكيها بفضله وبشرعه اللهـــم آمـين .

لكن هذة الآيات مهمة جدا فيما يتعلق بمبادئ يجب أن تقف عندها ، فالقرآن يقول : **ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم**[1] » بعض الناس يتصور أن العبادة هى أن تتجرد تماما لاداء شعائرك ولا تفكر فى الدنيا

١- سورة البقرة الآية ١٩٨

الاسلام ليس هكذا ، الاسلام يعتبر كل حركة من حركاتك ، مع النية ، هى عبادة لله -عز وجل - ولذلك يقول القرآن : «**ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم**[1] » يعنى ليست المسألة تجارة بمعنى البيع والشراء لمجرد الكسب ولكن المسألة بيع وشراء رغبة فيما عند الله وطلبا لما يفيض على عباده من نعمة فأنت حين تبيع او تشترى فتتوجه الى ربك ، طالب منه الفضل ، لانه لافضل الا فضله ، ولارحمة الا رحمته وعلى هذا فان الناس الذين كانوا يتحرجون من أن يتاجروا فى المجتمع اثناء الحج رفع الله عنهم هذا الحرج .

وسئل بن عمر - رضى الله عنهما - وهل معنى هذا

١- سورة البقرة الآية ١٩٨.

ان يتاجر الناس فى الحج ؟ فقال : وهل كان للعرب حياه إلا بما يتاجرون فى الحج ؟ فالعرب كانوا يتخذون الحج موسما يتاجرون فيه .. ويربحون .. ويصرفون تجارتهم ، وهم مع ذلك يؤدون شعائر الحج فيحرمون ..ويطوفون ..ويسعون .. ويذبحون .. وهكذا كان الامر فى الاسلام . فهم يتاجرون محرمين ، وهم يطوفون ويقفون بعرفه ولاحرج ولا جناح .

إذن فلا حرج على انسان ان يتاجر فى الحج يبتغى فضل الله الذى وعد به عباده «**ليس عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم**[1] » وهل يبتغى الانسان فضل ربه ويبخل الله عنه الله هو الكريم .. وهو المعطى .. وهو «**الرزاق ذو القوة المتين**[2] ويمضى النص القرآنى يرسم لناصورة مجتمع الحجيج ، فى انتقالاته بين المشاعر ، وفى ممارساته التعبدية .

١- سورة البقرة الآية ١٩٨

٢- سورة الذاريات الآية ٥٨

عرفات والغاء الطبقية

« فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام »[1] وعرفات بالطبع هى فى الحقيقة خصوصية من خصوصيات الاسلام استطاع الاسلام أن يحطم مبدأ من مبادئ الطبقية التى كانت العرب تعيش عليها كان الناس فى الجاهلية يحجون فأكثرهم يذهبون الى عرفة . وقريش وحدها تقف فى المزدلفة، لاتذهب لعرفة ، وكانت تعتبر ذلك ميزه من ميزاتها هى أرفع من أن تقف مع الناس، فجاء الاسلام ليقول لقريش انه لاميزة ولاطبيعة فى الاسلام، وإنما أنتم جميعا تفيضون من حيث أفاض الناس فيجب أن يقفوا جميعا فى عرفة وينزل الحجيج جميعهم الى المزدلفة فى مشهد واحد،

١- سورة البقرة الآية ١٩٨

وفى نقره راحدة دون ان تتحكم فى الناس طبقية بغيضة، ليقال هذا موقف السادة ، وهذا موقف العبيد، هذا موقف الخاصة وهذا موقف العامة ، لاطبقية فى الاسلام وهكذا اندمجت قريش فى سائر الناس غير انه اذاكانتأ لطبقية مرفوضة فى منهج الاسلام .

فليس معنى ذلك ان تسود الغوغائية فى المجتمع كما كان يتصور ذلك الشيوعيون ، قبل ان تزول دولة الماركسية، لابد ان نحترس من هذا الظن فنحن نقول (لاطبقية فى الاسلام) لكن هناك درجية ، أى ان لكل انسان درجته والدرجة اعتبار فردى ، فالعالم له درجة عالم وهو يتميز بها على الجاهل لكن قبيلة العالم لأتتميز عن قبيلة الجاهل ، بل قد تتأخر قبيلة العالم لانهم مجموعة من الجهلاء ، أولأنهم مجموعة من الخاملين واذا كان فيهم عالم واحد ، فهو بذاته يتميز ، لكن بقية الناس لاشأن لهم به .

كل انسان له درجته، وهو ماقرره القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون[1] » كل واحد فى الآخرة له درجة ، لكن هل يمكن أن يقال مثلا ان قبيلة معينة تتقدم لأنها تنتمى الى شيخ معين ، أو حتى الى نبى ..؟ هل يمكن أن يقال انهم يتميزون على سائر القبائل والانساب؟ كلا.. ليس هذا فى الاسلام .. وليس هذا من العدل.والرسول -ﷺ- نفى أن يكون لآله ميزة على سائر الآل نفى هذا وقال لآله: لايأتى الناس يوم القيامة بآعمالكم وتأتونى بأنسابكم » فلانسب حينئذ « فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون[2] » فهناك فرق بين مفهوم الطبقية ومفهوم الدرجة .

١- سورة الأحقاف الآية ١٩

٢- سورة المؤمنون الآية ١٠١

مفهوم الطبقة تسود فيه مثلا الأرستقراطية على البورجوازية، فالطبقة العالية تتميز على سائر طبقات المجتمع من الاغنياء والتجار وعلى الفقراء من باب أولى ، أما الدرجة فهى كما قلنا أعتبار فردى

والاسلام لايعترف بالطبقات اطلاقاً « فالناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى» (حديث شريف) فمن يريد أن يتفضل ويتقدم فليتفضل بتقواه أو بعلمه وهو ما يتيح له أن يكون مقدما على الآخرين وهو مايعبر عنه القرآن فى قوله تعالى : " **ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا** "[1]

١- سورة الزخرف الآية ٣٢.

كل انسان مسخر للآخرين حتى رئيس الجمهورية مسخر ، مسخر لخدمة الشعب ، والشعب اعتباره فوق اعتبار الرئيس ، هكذا بكل بساطه ، وهو نفسه يقرر هذا ، والوزير خادم للموزورين لانه يخدمهم فى ادارة شئونهم ، والمدير كذلك خادم لمن يرأسهم فى ادارته ، كل الناس مسخرون ، ولن يشذ انسان عن قاعدة التسخير ابداً والقرآن يقرر **« ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون[1] »**

فالدرجة وصف واعتبار ناشئ عن الفردية ، وكل واحد درجته فى المجتمع أما انقسام هذ المجتمع الى طبقات فقد محاها الاسلام ، عندما محا طبقية قريش على سائر القبائل ، وقال لهم : « **افيضوا من حيث افاض الناس**[2]

١- سورة الزخرف الآية ٣٢.   ٢- سورة البقرة الآية ١٩٩.

ارجعوا الى عرفة ، وقفوا مع الناس ، ولا تتميزوا فى موقفكم « **واستغفروا الله إن الله غفور رحيم فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا** » [1].

لقد فضل الله هذة الامة بأن منحها هذا الكتاب وأرسل اليها هذا النبى وعلمها هذا المنهج بعد أن كانت ضالة فى ظلام الجاهلية الدامس ، ومعنى ذلك انها ينبغى ان تتذكر دائما انه لولا رحمة الله بها لاستمرت فى ضلالها وفى جاهليتها ولما بقى لها اثر فى دنيا الناس .

فلولا الاسلام لما كتب لهذة المنطقة أى تاريخ اطلاقا ولما عرفت العرب معنى الحضارة ..ولما ارتفعت وسيطرت وأصبح لها بالاسلام هذا الوجود على اتساع خمسين دوله فى لعالم كلهم أبناء الاسلام .. وابناء محمد - ﷺ.

١- سورة البقرة الآيتان ١٩٩ ، ٢٠٠.

الذكر لله

إذن « واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين »[1].

كان العرب يأتون فى موسم الحج فيقف الشعراء، هذا يفتخر بقبيلته، وذاك يفتخر بأرومته مناقضا، فلما جاء القرآن قال لهم انسوا هذه العادات السيئة السخيفة التى لاثمرة لها ولاقيمة .

وانما اذكروا الله فذكر الله هو المستوى الذى ينبغى أن ترتقوا إليه وهو الحصن الحصين الذى يحميكم والذى تفخرون به ، لأنكم أمة التوحيد.

١- سورة البقرة الآية ١٩٨.

الدعاء فى الحج

ثم يقول القرآن : « **فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق** [1] » الناس يختلفون فى الحج فيما يدعون ، إناس يدعون بأمور تخص الدنيا ، وإناس يدعون بأمور تخص الآخرة ولكل درجاتها عملوا وكل إنسان سوف ينال شيئا من فضل الله حسب دعائه ، لكن افضل الدعاء ما اتجه الى الآخره ولم يهمل الدنيا « **ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخره حسنه وقنا عذاب النار** »[2] هو ناظر الى دنياه ، ولكنه لايغيب عنه رؤية الآخره ولا مشهدها فهو انسان يعيش فى الدنيا برجليه وفى الآخره برأسه ، وهكذا تكون حياة الانسان المسلم .

١- سورة البقرة الآية ٢٠٠.

٢- سورة البقرة الآية ٢٠١.

ان سار فى الدنيا لم ينس الأخرة ، وان تعامل فى الدنيا تعامل من أجل الآخره وذلكم هو المنهج ألامثل والهدف من ذلك كله هو تحصيل التقوي « **فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمناأاتقى واتقوا الله وأعلموا أنكم اليه تحشرون** »[1] والدليل على ذلك أنكم ترون هذا الحشد الذى ينزل من عرفة فى موكب واحد كأنه مشهد من مشاهد القيامة لقد جاءوا الى ربهم متجردين الا مما يستر العورة وهكذا سوف يكون الحشر حفاة عراة غرلاً سما يقول الحديث .

أسال الله -عز وجل- أن يلهمنا السداد فى القول والعمل وان يرزقنا الالتفات الى الآخرة والارتباط بها

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

١- سورة البقرة الآية ٢٠٣.

فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
- الإنابة فى الحج ولا إنابة فى العمرة	٤٨
- الحج والعمرة لوجه الله	٥٠
- فريضة الحج	٥٢
- الوقوف بعرفة	٥٣
- عمرة القضاء	٥٤
- نهاية المشركين فى البيت	٥٦
- الدرس العملى للإحصار	٥٩
- تطهير النفس بالفرائض	٦٣
- التقوى وأولى الألباب	٦٦
- التجارة والحج	٦٨
- عرفات والغاء الطبقية	٧٧
- الذكر لله	٨٣
- الدعاء فى الحج	٨٤

***

بطاقة الكتاب

شاهين ، عبد الصبور

إلى عرفات الله / تأليف عبد الصبور شاهين .-[د.م :د.ن] ،١٩٩٤.

(القاهرة : دار الشرق الأوسط)

٧٦ ص ؛ ١٧سم .-(رسالة منبر جامع عمرو بن العاص ؛٤)

إعـــداد
عبد الله المصرى

إخـراج كمبيـوتـر
الشركة الوطنية للكمبيوتر (روانكو)
ت : ٢٦٢٨٤٠٧ - ٦١٧٧٧٠

***

دار الشرق الأوسط
للطباعة والنشر
☎ : ٣١٨٦٣٩١